IJOPER Vol 1, No 3, pp 357 -382 ISSN 2957-3890
المجلة الدولية للبحوث النفسية والتربوية
International Journal of Psychological and Educational Research

جوانب من مبادئ التربية الأسرية كما جاءت في السنة النبوية وأثرها على المجتمع

"محمد أمين" حامد القضاة
الجامعة الأردنية
m.amin.qudah@gmail.com

الملخص:

هدف الدراسة إلى تعرف جوانب من مبادئ التربية الأسرية المستمدة من السنة النبوية وأثرها على المجتمع باعتبار كل ما صدر عن الرسول عليه الصلاة والسلام دستوراً شاملاً يمكن الرجوع إليه للاسترشاد به بالتربية وأساليبها، اعتمد المنهج التحليلي في استنباط أسس حماية الأسرة المسلمة من التهم من حادثة الإفك، ومبادئ تعامل الزوج مع زوجته من تعامل الرسول الكريم مع نسائه، ومبادئ تربية الأطفال من تعامل الرسول الكريم مع الأطفال، وأثر المبادئ التي توصلت لها الدراسة على المجتمع. وتوصلت الدراسة إلى: أن استثمار الأحداث السلبية يحدث تغييرات جوهرية في سلوك الأفراد، كما استثمر القرآن الكريم حادثة الإفك لتهذيب النفوس وتربيتها على العفة والطهارة. وكشفت الدراسة عن تسعة أساليب تربوية تهذب النفوس وتحمي الأسرة من التهم. وبينت الدراسة أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان مثال الزوج الصالح، الرحيم والعطوف على زوجاته، وأنه مثل نموذجاً لكل زوج راغب بتشكيل أسرة ملؤها العطف، والحنان، والسكينة، والطمأنينة. وأن منهج الرسول عليه الصلاة والسلام في تربية الأطفال يرتكز على الرفق واللين، والاحترام والتقدير، لبناء الثقة والشخصية السوية، وأن هذه المبادئ التربوية ذات أثر إيجابي على المجتمع.

كلمات مفتاحية: مبادئ التربية الأسرية، السنة النبوية، المجتمع.

Aspects of The Principles of Family Education in Pursuant to Sunnah and Their Impact on Society

"Mohammed Amin" Hamed Al-Qudah
The University of Jordan
m.amin.qudah@gmail.com

Abstract:

The present study aims to identify the aspects of the principles of family education in pursuant to Sunnah and their impact on society. It aims to identify such aspects with presuming that every act and saying of Prophet Mohammad (May peace be upon him) as a comprehensive constitution. This constitution can be used as a guide on education and its methods. That can be done through relying on the analytical approach to elicit the fundamentals of protecting the Muslim family from accusations based on Al-Ifk incident. It can do through relying on the analytical approach to elicit the principles governing child education based on the way in which Prophet Mohammad (May peace be upon him) dealt with children

The researcher concluded that investing negative events shall lead to having major changes to individuals' behaviors. For instance, the Holy Quran invested in Al-Ifk incident in order to discipline people and promote chastity and purity among people. It was found that there are nine (9) educational methods that can be used for disciplining people and protecting family from accusations. It was found that Prophet Mohammad (May peace be upon him) served as a model as a good husband who is merciful and compassionate when dealing with his wives. It was found that the approach of Prophet Mohammad (May peace be upon him) in educating children is based on kindness, gentleness, respect and appreciation in the aim of promoting self-confidence and developing a balanced personality.

Keywords: Principles of Family Education, Pursuant to Sunnah, Society.

تاريخ قبوله للنشر (2022-12-01) تاريخ تسلم البحث (2022-04-15)

مقدمة

تعتبر العملية التربوية عملية نمو مستمرة ومتجددة ومتطورة؛ لأنها الأساس المعتمد لبناء وتحقيق النمو المتكامل للفرد، وبما أن عملية التربية عملية تقوم على قواعد وعناصر وأصول، ولها مهاراتها التي يمارس الفرد من خلالها هذه العملية نجد الأمم والشعوب تولي هذه العملية اهتماماً خاصاً، لأن لها الدور الأساسي في تربية الأبناء في مراحل النمو المختلفة، فمستقبل الأمة يعتمد على نوع التربية التي تقدمها الأسرة والمدرسة لأبنائها، وأطفال اليوم هم رجال المستقبل، وإن أهم ما يؤثر على شخصية الطفل في المستقبل هو ما يمر به من إجراءات تربوية وتربية أسرية خلال مراحل وسني عمره الأولى؛ ونظراً لأهمية الأسرة فقد كان لها المكان البارز في التربية الإسلامية حيث خص الإسلام تربية النشء بأولوية مطلقة لم يصل إليها أي مبدأ أو تشريع سواه (القضاة، 1997).

من هنا كان اهتمام الاسلام بالأسرة فريداً، وذلك من خلال منظومة القيم والتوجيهات الإلهية والآداب والأحكام الشرعية، ولهذا كان نظام الأسرة في الاسلام نظاماً فريداً متميزاً عن غيره بأصوله، وفروعه، ومفاهيمه، ومضامينه لإيجاد الأسرة (التميمي، 1987).

والأسرة باعتبارها خلية المجتمع الأولى ولأنها أول وعاء يحتوي الطفل ويتعهده، ومنها يتتلمذ أبجديات الحياة الأولى ويكتسب السلوك الأولي ومشاعر المحبة والألفة والمودة، فقد بين الإسلام الأسلوب الأمثل والأسس المتينة التي تبنى عليها الأسرة وتحفظ أفرادها من كل ما يحيط بها من أخطار.

إن التربية الإسلامية هي فكر تربوي إسلامي خلاّق، يتناول الفرد والأسرة والمجتمع والأمة وأماكن الدراسة، ويعنى بالإنسان والدين والحياة. والعملية التربوية الإسلامية تقوم بتنشئة الإنسان الصالح المتكامل من جميع الجوانب: الإيمانية والعلمية والفكرية والجسدية والخلقية والنفسية والاجتماعية، ليكون كما أراده الله إنساناً صالحاً للخلافة على هذه الأرض (العلاوي، 1990).

وضمن هذا السياق فقد اهتم الإسلام ببناء الأسرة وضرورة اختيار الزوجين قبل الزواج ونظم أسس العلاقة الزوجية من خلال النظام الاجتماعي في الإسلام الشامل القائم على أحكام الزواج والطلاق والميراث والوصية وطرق تربية الأطفال في الأسرة.

ونظراً لأهمية الأسرة فقد أولاها الإسلام عناية خاصة من خلال مجموعة التشريعات التي تكفل بناءها على أحسن وأكمل وجه وفقا للتصور الإسلامي الذي يعتبر البيت البيئة الأولى التي تنبت في ظلها الطفولة، وتتدرج الحداثة، وتأخذ سماتها وطابعها من سماته، وفي جوه تتكيف؛ لأن بناء الأسرة الصالحة يضمن التربية السوية للأفراد، ويصون المجتمع من الانحلال والفساد، وينشئ الأمة القوية. ولهذا نجد نظام الأسرة في الإسلام نظاماً متكامل الأحكام، يتعهد المرء وهو جنين الى حين ولادته وحتى الى ما بعد وفاته، بأسلوب تربوي منسق ومنظم يراعي فيه مصلحة الفرد والأسرة والمجتمع (نوفل 1990؛ الصابوني، 1972).

وقد أعلى الإسلام من شأن الأسرة في المجتمع، فالأسرة مجتمع صغير وهي في الوقت ذاته الخلية الأولى للمجتمع الكبير ولا وجود للمجتمع بدونها، إن الملامح العامة للحياة في المجتمع الكبير إنما تتشكل صورتها الأولى في الأسرة ثم يتلقف المجتمع الكبير الإنسان وقد تشكل على النحو الذي تريده الأسر. فعلى قدر التماسك بين أفرادها يكون التماسك بين أفراد المجتمع، وعلى قدر تفككها يكون تفكك المجتمع؛ لأنها تعد أهم جماعة أولية في المجتمع، فالأسرة هي دعامة المجتمع وهي الخلية الأولى الحية التي يتكون منها أفراده، وتتلاقى فيها خلاياه، والأسر القائمة على أُسس سليمة نابعة من قيم فاضلة، القائمة برسالتها خير قيام.. هي الأسرة التي يرى فيها الأب

أنه راعي البيت، والقائم على أمره فيه، وترى الأم أنها مسؤولة عن إدارة شؤون البيت والأبناء، وعن غرس الفضائل الحميدة في نفوس أبنائها وتربيتهم التربية السليمة وتنشئتهم التنشئة الصحيحة، ويرى الأبناء فيها ما ينبغي عليهم من القيام بواجباتهم والنهوض بالحياة سيرا على الجادة وطموحا للمستقبل الزاهر (هشام، 1998).

ولما كان للأسرة في الاسلام هذه الأهمية، وكانت النظرة الحقيقية إليها على أنها أساس المجتمع فقد عني الإسلام عناية خاصة بشؤون الأسرة، وبكل ما يتعلق بها من مبادئ تنهض على هداها، حيث فصل القرآن الكريم والسنة النبوية كل ما يتعلق بالأسرة من أحكام (عبود، 1979).

لذا تحتل الأسرة مكاناً بارزاً في تاريخ حضارتنا الإنسانية، وتبدو هذه المكانة بما تفرزه الأسرة للمجتمع والحضارة من أعضاء وأفراد يقوم على كاهلهم بناء المجتمع وحضارته. فلا توجد بين التنظيمات التي يحتويها المجتمع الكبير منها أو الصغير ما يفوق الأسرة في قوة أهميتها الاجتماعية، فهي تؤثر في حياة المجتمع بأكمله، بأساليب متعددة كما أن صدى التغيرات التي تطرأ عليها تتردد في الهيكل الاجتماعي بكليته.

ولأن الإسلام يهدف إلى إقامة عالم رفيع الخلق عفّ المشاعر نظيف التعامل والسلوك جاء بنظام كامل يضمن المبادئ والمناهج التي يقوم عليها هذا العالم ووضع القواعد والأصول التي تضمن بقاءه وصيانته، ولم يترك الجانب الخلقي لعوامل البيئة ومؤثرات العرق والتقليد، بل جاء بمنهج تربوي خلقي كامل يشمل كل ما يتصل بالحياة والأحياء (شديد، 1982).

فمسؤولية أفراد المجتمع، وتنشئتهم وتكيفهم وفق القيم والمبادئ التي يقوم عليها المجتمع، تقع بالدرجة الأولى على الأسرة، وقد جاء في اتفاقية حقوق الطفل التي تم الاتفاق عليها في عام (1989) من قبل (اليونيسيف): تتحمل الأسرة المسؤولية الأساسية عن رعاية الطفل وحمايته من مرحلة الطفولة المبكرة إلى مرحلة المراهقة ويبدأ تعريف الطفل بثقافة المجتمع وقيمه وعاداته داخل الأسرة. وينبغي إذا ما أُريد تنمية شخصية الطفل تنميةً متكاملةً ومتناسقةً أن ينشأ في بيئة أسرية وفي جو من المحبة والسعادة والتفاهم. وبناءً على ذلك، يجب على جميع مؤسسات المجتمع أن تحترم وتدعم الجهود التي يبذلها الآباء وغيرهم من القائمين على تقديم الرعاية من أجل تنشئة الأطفال والعناية بهم في بيئة أسرية.

وتأسيساً على ما سبق، فالأسرة هي المسؤولة عن غرس المبادئ والقيم الإسلامية في نفسية الطفل، ويقع على عاتقها تعليمه الفرائض والعبادات عندما يكمل السابعة من عمره، لأن ممارسة الأطفال لفرائض العبادات يضفي على الأسرة جواً من الألفة والهدوء والطمأنينة، فدور الأسرة يقع في مقام الصدارة في التأثير على الشباب، فعلى الأبوين تقع مسؤولية التنشئة الصحيحة عقيدةً وترسيخاً للقيم في وجدان الأطفال (الفاعوري،1994؛ عبود، 1979).

وبينت دراسة شوق (1990) أن للأولاد في الأسرة شأناً كبيراً فالأسرة هي الحاضنة التي يتشرب فيها الأبناء قيمهم ومعاييرهم، ونظرتهم الى الحياة، فعند الأم يجد الحضن الذي يأوي إليه فيشعر بالأمن والحنان والحب، وعند الأب يجد المثل والوقاية والقدوة، ومن الأخوة والأخوات يأخذ ما لم يحصله من الوالدين. فالطفل يكتسب من الأسرة دينه فيبقى على فطرته مسلماً أو يعتنق المسيحية أو المجوسية، ولن يكون هذا أو ذاك إلا بناءً على تعاليم الأبوين وتوجيههما. وفي هذا روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله" ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه".

إن وظائف الأسرة تتجلى في كونها الأصل والمنبع الذيُ يخَرِّجُ الأبناء وفي الأغلب الأعم يتشكل سلوك الأبناء وتصاغ شخصياتهم داخل الأسرة، وتتميز الأسرة في الإسلام بمدى ما تقوم به في وظيفتها الأولى والهامة باعتبارها المحضن العام للأبناء والمدرسة الأولى في التربية والتوجيه (هاشم، 1998).

لذلك جاء اهتمام الإسلام بالتربية الأسرية، حيث فصّل أحكام الأسرة وجعل من الضوابط والتشريعات ما يحكم هذه التربية ويجعلها تحت العناية الإلهية لإعدادها للدور العظيم المناط بها وهو الخلافة في الأرض. ويشعر الإنسان أن كل صغيرةٍ وكبيرةٍ في نظام الأسرة تنال عناية الله ورقابته وأن كل صغيرةٍ وكبيرةٍ فيه مقصودة قصداً لأمرٍ عظيمٍ في ميزان الله، وأن الله يتولى بذاته تنظيم حياة الكائن والأشراف المباشر على تنشئة الجماعة المسلمة تنشئة خاصة تحت رعايته عزّ وجل، وإعدادها للدور العظيم الذي قدَّره لها في الوجود، وأن الاعتداء على هذا المنهج يستحق غضب الله وعقابه (قطب،1994).

ويرى الباحث أن الأسرة عماد المجتمع، وأساس بنائه، والإسلام بوصفه دين الفطرة، ومنهج الحياة الى يوم الدين، أولى الأسرة عناية خاصة تتناسب مع مكانتها في المجتمع ورسالتها في الحياة، فهي المنبت الطيب، والمدرسة الأولى في حياة الأفراد حيث تغرس في نفوسهم الفضائل الدينية، والمودة، والرحمة، والتضحية والإيثار، والتعاون، والأسرة المتصفة بالإيمان هي الأسرة التي تحيا في ظلال القرآن وتتخذه منهاجاً، لأن فيه خير الدنيا والآخرة، وعليه، وبناءً للمناهج التربوية الصحيحة، وغرساً للقيم الإسلامية السامية في نفوس الناشئة، وفي سبيل بناء الأجيال المؤمنة الواعية التي تقرّ بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبالقرآن الكريم منهاجاً وبمحمد رسولاً، كان لا بد من الالتفات إلى دراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم واستخلاص المبادئ التربوية المتضمنة لحياة الإنسان.

لأنه لا بد من تحديد الأخلاقيات والمبادئ الأساسية التي يلتزمها المجتمع الإسلامي، وتكون منطلقاً لتربية أبنائنا، ولا بد من دراسة المجتمع الإسلامي وتحديد الأخلاقيات الفاسدة، والقيم البعيدة عن روح الدين الإسلامي، والقيم المشوّهة التي شاعت بسبب من الجهل حيناً وسوء النية والقصد حيناً آخر، بغية محاربتها وكشف سوءتها وإحلال القيم الصالحة المتوافقة مع المنهج الإسلامي محلها. وعليه كان لا بد من تعميق معالم الذات المسلمة في الشباب على أساس من الوعي بمكونات هذه الذات، وفق غرس النفس الأصيلة والاعتزاز بالمبادئ التربوية الإسلامية (القضاة، 2003).

فالإيمان لا يكون براً حتى تتحقق آثاره ويكون الله ورسوله أحبّ للعبد من كل شيء سواهما، ولا يكون براً حتى تتحقق من المؤمنين الصفات التي وصف الله بها المؤمنين. والناظر إلى هذه الصفات يجد أنها تتعدد وتتنوع لكنها لا تخرج عن كونها صفات يقصد بها تربية الناس وتقوية نفوسهم، وغرس الفضائل فيهم، فهي في الجملة صفات يقصد بها صياغة النفوس البشرية على سنن الفضيلة وطريق الرشاد وإعدادها للخير فيما ينبغي أن يكون عليه المؤمن مع الله تعالى، ومع بني جنسه (عبد الشافي، 1974).

فقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكوّن من عرب الجزيرة أمة تحمل رسالة وتنشئ حضارة، وتصنع تاريخاً كأنه ضرب من الأساطير، كيف خلقت رسالة الإسلام من الفرقة وحدة، ومن الضعف قوة، ومن الأمية علماً، ومن البداوة حضارة وذلك هو سر الإسلام وعمل منهجه التربوي في تقويم النفوس والأمم وأثر تطبيقه في الجماعة والدولة (شديد، 1982).

وتأتي هذه الدراسة لتكون محاولة جادة من أجل رفد وتعزيز الدراسات السابقة من خلال البحث في جوانب من مبادئ التربية الأسرية كما جاءت في السنة النبوية وأثرها على المجتمع، وذلك بهدف إثارة اهتمام المسؤولين في

القطاع التربوي بالإقبال على هذه القواعد بالدراسة والتطبيق، إذ شهد العقد الأول من الألفية الثانية كما يرى القضاة (2003) أصواتاً تنادي بإعادة بناء التربية في الوطن العربي، وتدعو للارتداد إلى المنابع الأصيلة للفكر التربوي الإسلامي والذي أنتج أعظم حضارة عرفها تاريخ الإنسانية إذ يزخر التراث العربي بالكثير من المحطات الوضاءة التي تصلح لاتخاذها مرجعيات يمكن الإفادة منها في تطوير مبادئ وطرق التعامل مع المشكلات التربوية المختلفة في ضوء ذلك ينبغي إيلاء ذلك التراث التربوي أقصى درجات العناية، وإحاطته بمناخات بحثية علمية.

وقد أجريت عدة دراسات عن التربية الأسرية في الإسلام وتالياً عرض لبعضها:

أجرى منصور (2022) دراسة هدفت إلى تحديد الدور التربوي للشباب في ضوء التربية النبوية مستخدمة المنهج التاريخي الذي يتضمن الاستقراء والاستنباط، بتتبع واستقراء الأحاديث النبوية التي يذكر فيها الشباب، وتحليلها واستنباط دورهم التربوي، وتوصلت الدراسة إلى العديد من النتائج، من أبرزها ما يأتي: أن من أبرز المهمات التي قام بها الشباب، إذ لا يستطيع أن يقوم بها أحد غيرهم: مهمة حفظ الأمن والدفاع عن الدين والأوطان، حيث أوكل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم مهمة قيادة الجيوش تارة، ومهمة الحراسة الشخصية له تارة ثانية، وتنفيذ العمليات الخاصة تارة أخرى؛ كاستطلاع أخبار العدو، وتنفيذ الاغتيالات لأخطر الأعداء المتربصين بالدولة. أسهم الشباب في النهضة الاقتصادية ومكافحة الفقر والبطالة، وتميزوا في احتراف المهن والحرف والصناعات المختلفة، فكان منهم العالم والمعلم والطبيب والنجار والحداد والمزارع والتاجر الأمين... إلخ. كان للشباب أثر وأضح في النهضة العلمية والفكرية والدعوية والتربوية في المجتمع الإسلامي الأول، فكان منهم النجباء الذين تصدروا للإفتاء والقضاء، وكان منهم الأذكياء من كتبة الوحي وحفاظ القرآن الذين نقلوه وعلموه الأجيال.

أما دراسة محمد (2021) فقد هدفت إلى بيان أهمية السيرة النبوية، ودورها الفعال في بناء وصقل شخصية الأفراد والجماعات، وإبراز أثر السيرة النبوية في الدعوة والتربية، في بناء شخصيات الصحابة وتوظيف ذلك في تطوير قدرات الدعاة والمربين في بناء وتكوين الشخصية المسلمة في الحياة الاجتماعية، إضافة إلى إعطاء تصور واضح للدعاة والمربين لمراعاة قواعد وأسس الدعوة والتربية التي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته وتربيته لأصحابه، وتطبيق الدعاة والمربين طرائق النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة والتربية. وقد اشتمل البحث عل التعريف بالسيرة النبوية، وأهميتها، وخصائصها، وبيان أثرها في الدعوة في التربية، والآثار العامة التي أحدثتها في الدعوة والتربية. وقد قامت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي. وكان من أبرز نتائج البحث: أن السيرة النبوية مصدر متجدد النفع للأمة الإسلامية، في إرشاد الفكر، وتوجيه السلوك، وبناء المجتمع الإنسان عل ركائز ثابتة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم أرفق الناس بالمتعلمين، وأبعدهم عن التشديد والتعسير، وهذا ما نحتاج إليه في تعليمنا للناس جميعا. وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن إنسانا عاديا، بل كان شخصية زودها الله تعالى بقوى بدنية وعقلية ونفسية وروحية، تكاد تكون خارقة للعادة، هذا كان المثل الأعلى في الحياة، في سلوكه الفردي، وفي قيامه بحق الله تعالى، وفي الوقوف في الحق، وتضحيته من أجله، ومواجهته الصعاب التي تعترضه بقوة وبسالة.

كما هدفت دراسة اليزيدي (2019) إلى التعرف على تربية النبي صلى الله عليه وسلم للطفل المسلم وبيان كيفية معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لزيد تربويًا. حيث تكون منهج البحث من استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي في وصف وتحليل أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم للطفل المسلم، وأساليب معاملة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال الأحاديث، وتطبيقاتها التربوية. أظهرت الدراسة أن السيرة النبوية غنية بالأساليب التربوية التي تفيد

المربين والمعلمين والتي تهتم بتنمية جميع جوانب الإنسان وصقلها. وأبرزت الدراسة من خلال الأحاديث النبوية، اهتمام الرسول إذ لا انفصال بين الأخلاق والدين، فالأخلاق روح الدين الذي يغذيها وينميها. وبينت النتائج أن المرحلة الابتدائية تشكل أهمية خاصة في رعاية وتنمية جوانب الشخصية لدى الطفل عن طريق تطبيق الأساليب النبوية، فهي تحتضن هذه المرحلة السنية وتقدم لها المعارف الأولية والمهارات الأساسية. وأن أساليب معالجة أخطاء الأطفال تنوعت إلى عدة أساليب منها، التوجيه المباشر، الحوار، البيان العملي، التوبيخ، الترهيب، تقديم البديل الصحيح، الملاطفة، الضرب، وأن هذه الأساليب النبوية في معالجة أخطاء الأطفال تمثل نموذجًا تربويًا متكاملا المعاصر.

أما فضل الله (2019) فتناول في دراسته التربية الشخصية للمسلم من خلال السنة النبوية (مرحلة الطفولة أنموذجاً) لاسيما أن مرحلة الطفولة تعتبر من أهم المراحل في بناء الإنسان بصورة متكاملة، وتكوين شخصيته، وتحديد اتجاهه في المستقبل. وتوصلت الدراسة إلى ن منهج السنة النبوية في التربية تميز عن غيره من المناهج التربوية الأخرى لشموله لمختلف أبعاد حياة الإنسان الدينية والدنيوية وعنايته الكاملة بجميع نواحي النفس البشرية. وأن كل تربية سابقة تعنى بجانب واحد من جوانب الشخصية الإنسانية على حساب الجانب الأخر، أو تهتم بإحدى الطاقات قابل إهمال غيرها. وإن من أهم خطوات التربية الصحيحة للطفل الاختيار الصحيح للزوجة. وأن من أسس اختيار الزوجة ترجيح ذات الدين على غيرها. وأن أكثر الأوقات التي تنتشر فيها الشياطين وقت مغيب الشمس، لذلك حثت السنة النبوية على حبس الأطفال في هذا الوقت، فإن مرت ساعة تركناهم.

أما السبيعي وعلام (2018) فقد سلطا في دراستهم الضوء على الحوار وأثره في تربية الأسرة النبوية (المواقف والمفاهيم التربوية). واعتمد البحث على منهج علمي يعتمد على الاستقراء، والوصف، والتحليل، والتأصيل. وانتظمت خطة البحث في تمهيدًا وفصلين، تناول التمهيد تعريف اصطلاحي لمفهوم الحوار التربوي، ومفهوم الأسرة ومقاصدها. أما الفصلين، فجاء الأول بعنوان الحوار والمسؤولية التربوية الكبرى في الإسلام، متضمنًا المسؤوليات التربوية الكبرى في الإسلام، والحوار وأثره في وسائل التربية المؤثرة. أما الثاني فقد تطرق إلى مواقف الحوار في أسرة النبي صلى الله عليه وسلم والمفاهيم التربوية المستفادة منها، ومن تلك المواقف، موقف النبي مع أولى زوجاته رضى الله عنهن عقب نزول الوحي، وموقفه عليه السلام مع عمه أبو طالب وابن عمه على بن أبي طالب. وخلص البحث بمجموعة من النتائج منها، أن وجود الأسرة المترابطة القائمة على أساس الإسلام تضمن وجود جيل قوي معتز بدينه مستعد لتحمل المسؤولية قادر على دحض الشبهات التي تثار حول الإسلام والأسرة خاصة.

وقام السبيعي (2016) بدراسة هدفت إلى الوقوف على ملامح التربية النبوية في العهد المدني، وذلك لما تميزت به هذه المرحلة من ملامح ومعالم بنائية فريدة يلزم الاستفادة منها في واقعنا المعاصر وخصوصا في المجال التربوي، حيث أنه من خلال هذا العصر يمكن للأمة استعادة مجدها ورفعتها ومكانتها بين الأمم، ولذا يجب علينا في عصر قد ابتعد فيه الناس عن سنة نبيهم وانشغلوا بحديث غير حديثه عليه الصلاة والسلام، وبأقوال غير أقواله، وأهملوا سنته، أن نهتم بدراسة هذا العصر ونستفيد منه في إصلاح مجتمعاتنا وشعوبنا وجاء البحث الحالي للوقوف على أهم الدعائم التربوية في بناء الدولة الإسلامية في العهد المدني، وتوضيح طبيعة العملية التعليمية في ذلك العهد، ولتحقيق ذلك اعتمد البحث على المنهج التاريخي للتوصل إلى الأبعاد التربوية النبوية في العهد المدني، وتوصل البحث إلى مجموعة من النتائج من أهم الأساليب النبوية في التربية والتعامل مع الآخرين والتي منها ترسيخ

القيم الإنسانية والمبادئ المثالية، وتذويب الفوارق الإقليمية والقبلية هي أسس التربية الصحيحة، كما توصل البحث إلى أن الكتاب والسنة مصدري العلوم ومرجعية الدراسات والبحوث في جميع العصور، كما أوصى البحث بضرورة تدريس العهد النبوي في مؤسسات التعليم لما له من أثر في إثراء التربية في العصر الحديث.

كما أجرى عقدة (2009) دراسة هدفت إلى التعرف على معالم التربية النبوية من خلال عرض لبعض الحوادث والوقائع، وبيان ما فيها من دروس نافعة في تربية أنفسنا وغيرنا في تعاملاتنا وعلاقاتنا وسائر أحوالنا: حتى نكون على مستوى أدب هذا الدين الذي بُعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليزكينا من كل المساوئ والمنكرات. وقضية الأدب والخلق قضية عظيمة في هذا الدين، حتى إن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "إنما بُعثت لأتمُم مكارم الأخلاق"، ولذا كان السابقون من السلف الصالح يحرصون أشد الحرص على تأديب أنفسهم بأدب الإسلام في كل شيء، وكانوا يقدمون الأدب قبل العلم وتوصلت الدراسة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مراعياً لنفسَي صاحبيه، حريصاً على أن يدفع عنهما ما قد يصيبهما من تغيُّر أو ضيق أو حزن لا موجب أو لا سبب له في الحقيقة لتبقى النفوس صافية منشرحة، لترفُّق بالعوام ومراعاة ذلك في أمرهم ونهيهم، فإنهم في كثير من الأحيان تخالط أخطاءهم طيبة في قلوبهم. وأنه كان متواضعا لين الجانب في تعامله مع أصحابه رضوان الله عليهم ومع غيرهم.

أما دراسة العمري (1431هـ) والتي هدفت لبيان المنهج النبوي في تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع المواقف والأحداث، وكان من أبرز نتائجها: استغلال التربية النبوية الأحداث الواقعة في المجتمع، وكان من ثمارها إخراج خير أمة أخرجت للناس، وأن التربية النبوية وضحت قدرة الأخلاق الإسلامية على توجيه جميع مؤسسات الموجودة في المجتمع وتحقيق النجاح والانضباط والاستقرار المنشود لها.

وفي ذات السياق أجرى كتبي (1426هـ) دراسة حول المنهج التربوي النبوي في معالجة مواقف من أخطاء المجتمع المدني من خلال كتاب السيرة النبوية لابن هشام" والتي هدفت للتعريف بالسيرة النبوية واستخراج بعض المناهج التربوية في كيفية معالجة النبي عليه الصلاة والسلام لمواقف من أخطاء المجتمع المدني، والتطبيقات التربوية والسلوكية المستفادة، وكان من أبرز نتائجها أن اللوم لا يكون لعامة الناس، بل هو للخواص الذين يعملون مدى حب الشخص وتقديره لهم، وأن يدرب المتربي على التعامل مع المواقف السلبية بإيجابية وكيف يحوله إلى موقف إيجابي يستفيد منه.

كما أجرى عواقلة (1997) دراسة سعى من خلالها إلى إبراز الأسس التربوية لإعداد الأطفال من سن خمس سنوات إلى سن البلوغ في ضوء التربية الإسلامية مستخدما المنهج التحليلي. وتوصل الباحث إلى واحد وأربعين أساساً تربوياً تندرج تحتها أسس فرعية ومن ضمنها أنه لابد من تنشئة الأطفال على حب الله ورسوله وتعويدهم على العبادات وآداب الاستئذان والسلام. وأوصى الباحث بان تراعى الأسس الأساليب التي كشفت عنها الدراسة في إعداد وتصميم المناهج.

وأجرى عبد الله (1996) دراسة هدفت إلى توضيح دور الأسرة التربوي من حيث العلاقات التربوية بين أفراد الأسرة وبيان دورها في المجتمع وإبراز المبادئ والمرتكزات الرئيسية التي تبنى عليها تربية الأسرة المسلمة. واعتمد الباحث المنهج التحليلي في استنباط واستخلاص الدور المناط بالأسرة كما بينتها التربية الإسلامية، حيث توصل الباحث إلى تسعة عشر أساساً تربوياً تكون الإطار التربوي لتربية الأسرة استقصاها من القرآن والسنة وتوصل إلى أن للأسرة أيضاً دوراً تربوياً هاماً من حيث كونها نواة المجتمع حيث تفرز للمجتمع الأجيال الصالحة.

أما دراسة عناسوة (1996) فقد هدفت إلى وصف وتحليل الدور الذي تلعبه الأسرة والمدرسة الإسلامية في تكوين شخصية الطفل المسلم في المرحلة العمرية (6–12) سنة، حيث أبرز الباحث دور الأسرة والمدرسة الإسلاميتين في المرحلة الأولية في بناء شخصية الطفل المسلم. تطبيقا اجتماعيا على القيم الإسلامية الأصيلة والأخلاق الفاضلة مستخدما المنهج التاريخي التحليلي. وتوصل الباحث إلى أن الأسرة الإسلامية هي الوحدة الأساسية في المجتمع الإسلامي، وأن الحياة الإنسانية السوية لا تقوم في ظل الغياب الأسري وأن الهدف من تكوين الأسرة المسلمة إقامة حدود الله وتحقيق السكون النفسي والمحافظة على الآداب الإسلامية في الأسرة. وأوصى الباحث بأن يكون للتربية الإسلامية دور في تكوين شخصية الطفل المسلم وضرورة توجيه البيت المسلم للقيام بدوره المنشود في غرس مبادئ التربية الإسلامية.

وقام الصالح (1994) بدراسة هدف من خلالها الى بيان دور الأسرة في المجتمع الحديث من المنظور الإسلامي من حيث عناية الشريعة بالزواج، ودور الأسرة في التربية. وتوصل الباحث إلى أن الهدف من الزواج هو تكوين الأسر المسلمة لتحقيق العفة والفضيلة كغض البصر وإحصان الفرج وأن عناية الإسلام لم تقتصر على تربية الأولاد وإنما عنيت أيضا برعاية الوالدين.

وكانت دراسة النباهين (1990) قد هدفت إلى بيان أهمية الأسرة في النظام التربوي الإعلامي وبيان الوسائل التي تمكن الأسرة من رعاية الطفولة من وجهة نظر التربية الإسلامية، وتوصل الباحث إلى أن وسائل رعاية الأسرة لأطفالها في الإسلام تتمثل في مرحلتين: مرحلة ما قبل الولادة: وتشمل اختيار الزوجة الصالحة، ورعاية الجنين. ومرحلة ما بعد الولادة: وتشمل رعاية الطفل من الولادة إلى الشباب جسمياً وعقلياً، ونفسياً وتربوياً وتعليمياً، وأوصى الباحث بتبني الدعوة إلى تمسك الأسرة العربية المسلمة بتعاليم دينها والالتزام بأسس رعاية الطفل بالإسلام.

باستعراض الدراسات السابقة يلاحظ أن الدراسة الحالية تلتقي مع الدراسات السابقة في الاهتمام بالمبادئ التربوية التي حوتها السنة النبوية، ولكنها تتميز عنها بالتركيز على جوانب محددة تهم الأسرة المسلمة والمتمثلة بكيفية حماية الأسرة من التهم وكيفية معاملة الرجل لزوجته وأهم أسس تربية الأطفال.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

تهدف الدراسة إلى التعرف على جوانب من مبادئ التربية الأسرية المستمدة من السنة النبوية وأثرها على المجتمع وذلك باعتبار كل ما صدر عن الرسول عليه الصلاة والسلام دستوراً شاملاً يمكن الرجوع إليه للاسترشاد به بالتربية وأساليبها، وتتحدد مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: ما أسس حماية الأسرة المسلمة من التهم التي يمكن استنباطها من حادثة الإفك؟

السؤال الثاني: ما مبادئ تعامل الزوج مع زوجته التي يمكن استنباطها من تعامل الرسول الكريم مع نسائه؟

السؤال الثالث: ما مبادئ تربية الأطفال التي يمكن استنباطها من تعامل الرسول الكريم مع الأطفال؟

السؤال الرابع: ما أثر المبادئ التي توصلت لها الدراسة والمستنبطة من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم على المجتمع؟

أهمية الدراسة

تظهر أهمية الدراسة من خلال رسم طرق المعالجة التربوية السليمة للمشكلات التي يمكن أن تواجه الأسر المسلمة والمستنبطة من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام.

محددات الدراسة

اقتصرت الدراسة على حادثة الإفك وعلى بعض الأحاديث النبوية الخاصة بتعامل الرسول عليه السلام مع زوجاته ومع الأطفال.

منهجية الدراسة:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج التحليلي؛ وذلك بتحليل بعض الأحاديث النبوية والحوادث المتعلقة بالتربية الأسرية، وبيان أثر ذلك على المجتمع. ولتحقيق هدف الدراسة فقد تألفت الدراسة من أربعة مباحث، يعالج المبحث الأول حادثة الإفك، فيما يعالج المبحث الثاني بعض الأحاديث الخاصة بأسلوب تعامل الرسول عليه الصلاة السلام مع زوجاته، ويعالج المبحث الثالث كيفية تعامل الرسول عليه السلام مع الأطفال، فيما بين المبحث الأخير أثر ذلك على المجتمع.

المبحث الأول

وفي هذا المبحث عرض لحادثة الإفك، وهي مشكلة تعرض لها الرسول صلى الله عليه وسلم واستنباط أسس الوقاية من المشكلات التي قد تواجه التربية الأسرية. قال الله تعالى: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {4} إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {5}. (النور).

يبدو لنا في هذه الآية الكريمة المنهج التربوي الإسلامي الوقائي، فهو يقي الأسر من الأحاديث التي قد تكون سبباً في إيجاد بيئة للانحراف عن النهج التربوي السوي الذي تسعى إليه التربية في ظل الإسلام من آداب، وأخلاق تربوية فضلى يجب التحلي بها.

ويعمل المنهج التربوي الإسلامي على وأد الأقاويل والإشاعات التي تجعل من المسلمين وأسرهم بيئات للمنكر، والفحشاء، درءاً لمخاطر جسيمة أخطرها نشر الخصومات والمنازعات بين أبناء الأسر، لهذا جعل الإسلام من يتهم الأسر العفيفة المؤمنة – وخاصة المرأة العفيفة – خارج دائرة الإيمان، متهماً بالفسق (الطبري، 1999؛ ابن عاشور، 1984).

إن الإسلام وهو يحث المرأة على الفضيلة والإحسان يحميها من سوء القالة فهي إن كانت ملتزمة بالمنهج الرباني ثم يساء الى نفسها بكلمة جارحة، فمن حقها أن ينتقم لها على ما أصابها من مكروه، إذ أن إثارة التهم حول المرأة يؤدي الى انحراف الأسر، مما ينجم عنه طلاق المرأة إن كانت متزوجة، أو حرمانها من الزواج إن كانت بكراً، او قتلها بدواعي الشرف، فكم من فتاة عفيفة طاهرة لاقت حتفها للفظة لاكها لسان منحرف، فانتشر خبرها المفترى، فقتلها ذووها ثم ظهرت عفتها وحصانتها، ولكن بعدما سبق السيف العذل. فهل من ضرر أبلغ من هذا؟ (الرازي،1997؛ فريد،1985).

ومن ناحية أخرى فقد يكون الدافع الانتقام، أو الحسد. فيلجأ إنسان الى رمي آخر بعرضه بغية إيذائه وتحقيره، فيبدأ الكلام بافتراء، ثم يصير الى حقيقة بانتشاره، فيتأذى المرمي بالتهمة، وقد تهدم أسرته، وينظر إليها على أنها أسرة خارجة عن المبادئ والأخلاق التربوية، فتنبذ من المجتمع، فلا تصاهر، ولا تعامل بالحسنى كل ذلك لافتراء مفتر أراد الانتقام لنفسه.

وعليه، فإن ما تلوكه الألسن وأن بدأ أول الأمر افتراءً إلا أنه يصدق فيما بعد، لأجل هذا" فإن ترك الألسنة تلقي التهم على المحصنات، وهن العفيفات الطاهرات الحرائر، بدون دليل قاطع يترك المجال فسيحا لكل

من شاء أن يقذف بريئة بتلك التهمة، ثم يمضي آمنا فتصبح الأسر وتمسي وإذا أعراضها مجروحة وسمعتها ملوثة، وإذا كل فرد فيها متهم، أو مهدد بالاتهام وإذا كل زوج شاك في زوجه، وكل رجل شاك في أصله، وكل بيت مهدد بالانهيار. وهي حالة من الشك، والقلق والريبة لا تطاق" (قطب، 1994).

من أجل هذا شدد الإسلام في عقوبة القذف، وجعلها أنواعاً ثلاثة: عقوبة جسدية وعقوبة أدبية وعقوبة دينية. فحري بنا أن نتأدب بالآداب التربوية التي شرعها الله سبحانه، ونكف ألسنتنا ولا نقول نحن في مأمن من الحدود بسبب عدم تطبيقها، فنطلق ألسنتنا بالسوء والفحشاء، لأننا أمنا عذاب الدنيا، فعلينا أن نتذكر أن عذاب الله أخزى، ومن أراد الله به خيرا والسلامة في السر والجهر فليقل خيرا أو ليصمت، فأكثر البلاء من اللسان قال صلى الله عليه وسلم" وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم" فالذي يطلق العنان للسانه في توجيه التهم لهذا وذاك يخرج من القاعدة الإيمانية التربوية، ويورد نفسه العذاب الأليم.

وبين القرآن مدى الأخطار التي تحيق بالأسر والأفراد لو أطلقت فيها الألسن تقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، حيث لا تقف عند حد، إنما تمضي صعودا إلى أشرف المقامات وتتطاول على أعلى الهامات، وتعدم الأسر كل وقاية وكل حياء، بين القرآن ذلك من خلال حادثة الأفك وهي التي روعت المجتمع المسلم، وذكرها يعد مثالا واضحا ونموذجا بينا على خطورة إشاعة الفاحشة، فكان الدرس شديدا وقاسيا على المؤمنين. والحادثة تتلخص بقيام أشخاص من المنافقين وغيرهم باتهام عائشة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم، فنزلت الآيات الكريمة لتدحض افتراءات المفترين، وتعلن براءة أم المؤمنين رضي الله عنها.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه. قالت عائشة: "فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما نزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عقد لي من جزع أظفار".[1]

قد انقطع، فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه. وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فأممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي فبينا أنا جالسة في منزل غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأدلج، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ: على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي بن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمت شهرا، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريني في

[1] رواه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث رقم 6162. وقال هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث رقم 3793.

وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول: كيف تيكم، ثم ينصرف، فذاك الذي يريبني ولا أشعر بالشر، حتى خرجت بعد ما نقهت، فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع، وهو متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا. فانطلقت أنا وأم مسطح – وهي ابنة أبي رهم بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة – فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي وقد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا؟ قالت أي هنتاه أولم تسمعي ما قال؟ قالت قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضا على مرضي. فلما رجعت إلى بيتي ودخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم تعني سلم ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما قالت: فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئت أبوي، فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها. قالت فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله. قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود فقال: يا رسول الله، أهلك، وما نعلم إلا خيرا. وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك. قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة، فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك ؟ قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمرا أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله وأنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام سعد بن عبادة – وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلا صالحا، ولكن احتملته الحمية – فقال لسعد: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله. فقام أسيد بن حضير – وهو ابن عم سعد بن معاذ – فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنَّه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فتساور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت. قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم. قالت فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم لا يرقأ لي دمع يظنان أن البكاء فالق كبدي. قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، قالت: فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس، قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني قالت: فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال: أما بعد، يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه. قالت: فلما قضى رسول الله مقالته قلص دمعي حتى ما

أحس منه قطرة، فقلت لأبي أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت لأمي: أجيبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت فقلت – وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن –: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة – والله يعلم أني بريئة – لا تصدقونني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر – والله يعلم أني منه بريئة – لتصدقني. والله ما أجد لكم مثلا إلا قول أبي يوسف، قال {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ {يوسف:18}، قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي قالت وأنا حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرؤني الله بها. قالت: فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه. قالت: فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سري عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: يا عائشة، أما الله عز وجل فقد برأك. فقالت أمي: قومي إليه قالت فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله عز وجل. وأنزل الله (إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ {11} (النور) العشر الآيات كلها. فلما أنزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله {ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم} قال أبو بكر: بلى والله، إني أحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا. قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب ابنة جحش عن أمري فقال: يا زينب، ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيرا. قالت – وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك.[2]

إن الأسلوب التربوي في حماية الأسر من الاتهامات والمستنبط من حادثة الأفك التي نزلت بشأنها هذه الآيات هو الذي قلب الآثار السلبية للحادثة على الأسر إلى خير كثير فزادت من وحدة الأسر وصفائها مبينة في الوقت ذاته خطورة إشاعة التهم وما تؤدي إليه من شقاق ونزاع خاصة وأن المتأذين جمع كثير من أقارب الرجل والمرأة، وهذه تربية بتجربة واقعية تحدث بين أظهرهم، فهي تربية وتعليم بالممارسة والتجربة.

قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ {11} لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ {12} لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ {13} وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ {14} إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ {15} وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ {16} يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {17} وَيُبَيِّنُ

[2] (رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، سورة النور، باب لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا إلى قوله الكاذبون، حديث رقم 3744.).

اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {18} إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ {19} وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّه رَؤُوفٌ رَحِيمٌ {20} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {21}.(النور).

وقد اتبع المنهج التربوي القرآني في معالجته لهذه الحادثة أساليب تربوية يسترشد بها المربون على مدار الزمان. ويقوم هذا الأسلوب على:

أولاً: إحسان ظن المسلم بأخيه المسلم: قال الله تعالى" لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ {النور:12}. تؤكد الآية الكريمة على أن المنهج التربوي الإسلامي يرسم معالم القاعدة التربوية التي تقوم على ثقة المسلم بأخيه المسلم، فالمنهج التربوي الإسلامي نظر إلى الأسرة المسلمة في المجتمع الإسلامي كنفس واحدة، وأكد على أن أفراد المجتمع المسلم كفرد واحد، وهذا موقف تربوي سليم يربي الإسلام عليه أفراد المجتمع المسلم، لأنه يفترض أن المسلم يجب أن يكون طاهراً عفيفاً ولا يظن بأخيه المسلم إلا خيراً، وأن التهمة ما هي إلا معصية، والمعصية ضرر ينأى عنه المسلم، وهذا هو الموقف الذي يربي الإسلام عليه أبناءه (الرازي،1997).

ثانياً: طلب الدليل الوجداني على صحة التهمة: قال الله تعالى" لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ {النور:12}.

ثالثاً: طلب البينة والدليل المحسوس للتثبت من الكلام: قال تعالى:" لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ {النور:13}. تحدد الآية الطريق للتثبت ولبيان صحة التهمة التي تطلق على الآخرين ويقذفون بها وذلك بإحضار أربعة شهود، لأنه لا بد من الدليل والبرهان الواقعي فلا تلقى التهم جزافاً، ومن تكلم بكلمة تؤذي الأسر والأفراد يطالب بالدليل المادي والبينة التي تصدق ما جاء به، وإلا" فأولئك هم الكاذبون". وفي تعقيب القرآن الكريم على إبداء الرأي دون تثبت درس تربوي "ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم" فرحمة الله وفضله حمت المجتمع من العقاب الرباني في الدنيا والآخرة ولهذا دلالة على شدة الأذى الذي يلحق الأسر وأفرادها عند توجيه التهم، فلابد من التحقق والتثبت وإعمال الفكر ليحصل العلم الصحيح قبل تحريك اللسان وخروج الكلام دون رقيب.

رابعاً: التفكير والروية قبل الكلام: قال تعالى" إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ {النور:15}. في هذه الآية يستخدم القرآن التربية والتهذيب بأسلوب توبيخي لمن يسمع الكلام ويتناول أعظم الأمور دون مبالاة ولا اهتمام، فلا يتثبت ولا يتفحص، وإنما لسان يتلقى عن لسان، فلا بد من المعالجة العقلانية التربوية للكلام قبل النطق، وألا تلقى الكلمات من الأفواه دون أن تستقر في المدارك ودون أن تتلقاها العقول بالمعالجة والتفحص.

وقد حدد المنهج الإسلامي المخالفات التالية لمن يتناول الحديث دون معالجة وتفحص:

- التكلم بغير علم، بمعنى أنه لا يجوز التحدث إلا مع العلم اليقيني الثابت وهذا درس تربوي هام.
- القول دون روية أو تفكر، فالشيء المعلوم هو ما ثبت بأدلته، فالحديث دون قرائن وأحوال تصدقه هو قول باللسان. وهذا منهج تربوي لابد من اتباعه وتطبيقه للسلامة من الخطأ، وجرح الآخرين.

- استصغار الأمر مع أنه عند الله عظيم، ولا يعظم عند الله إلا الأمر الجليل الضخم. فلا يجوز استصغار أمرٍ قد يكون وقعه على الغير عظيماً (المراغي، 1998؛ الزمخشري 1997).

ولهذا فمن الآداب التربوية الأخلاقية، ألا يقول المرء بلسانه إلا ما يعلمه ويتحقق منه، ولا يضرّ به الآخرين وإلا فهو أحد اثنين:

- سقيم الرأي يقول الشيء قبل أن يتبينه فيوشك أن يقول الكذب فيعده الناس كذاباً، وفي الحديث" كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع".
- أو مموه يقول ما يعتقد خلافه، كما بين ذلك القران الكريم قال الله تعالى" وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ {البقرة:204}، وقال الله تعالى:" كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ {الصف:3} لذلك على المرء أن يلتزم بهذا الأدب التربوي فلا يقول دون تفكير وروية، وهذا الضبط اللساني الشديد خاصية تربوية وخلق مميز في التربية الإسلامية.

خامساً: الرقابة الداخلية للفرد: قال تعالى" وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ {الصف:16}، هكذا حدد القران الكريم هذا الأسلوب التربوي والقاعدة التي لابد للمسلم من السير عليها عند سماعه لحديث يحط من قدر المسلم، فالنظر في الكلام والتثبت من مدى صحته صفة من صفات المؤمنين حقاً، ولا بد من تمحيص أي كلام يمس المسلم في عرضه أو ماله أو دينه والتثبت منه حتى إذا ثبت عدم صحته أنكره المؤمنون ورفضوه. فالقلوب المؤمنة تعرض عنه بمجرد سماعه والنطق به وتنبذه كموضوع للحديث (قطب، 1994؛ القرطبي، 1967).

هكذا جاء المنهج التربوي الإسلامي، يقوي الرقابة الداخلية المدفوعة ذاتياً فالفرد يراقب نفسه بنفسه، فيلتزم بهذا الأدب التربوي، فيزجر نفسه عن سماع مثل هذه الأحاديث. ويجعل المنهج التربوي الإسلامي المسلم حريصاً على عدم الإكثار من الحديث في كل ما يسمع، فهو بعيد عن اللغو والخوض فيما لا فائدة فيه. ولهذا وصف القرآن المؤمنين بـ" وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ {المؤمنون:3}، و" وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا {الفرقان:72}.

سادساً: الزجر عن المنكر: قال الله تعالى:" يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {النور:17}. تتضمن الآية الكريمة أسلوباً آخر من أساليب التربية الذي يقوم على الزجر مع تضمينه معنى التحذير من العودة لمثل هذا الفعل، خاصة وأن الزجر صادر من لدن عليم خبير. ويعد الإسلام توجيه التهم للغير أمراً عظيماً، وهو مشتمل على منكرات عظيمة، مثل الكذب والطعن بسلامة العرض، وهو يسبب إحناً عظيما بين المفترين والمفترى عليهم بدون عذر، فلا بد أن يزجر الفرد بأسلوب تربوي مؤثر (قطب، 1994؛ ابن عاشور، 1984). وقد ربط المنهج التربوي الإسلامي الزجر بالإيمان ليكون له أثر تربوي في نفس المؤمن، فوصفه بالإيمان فيه حث المؤمن على أن يتعظ ويتذكر كل ما يوجب الابتعاد عن مثل ما وقع.

سابعاً: التذكير بمصير من ينشر الفاحشة: قال تعالى" إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ {النور:19}. يستخدم المنهج التربوي الإسلامي هنا إجراءات أخرى للوقاية، فالذين يتهمون المحصنات يعملون على زعزعة ثقة الجماعة بالخير، والعفة، والنظافة من كل سوء، ويعملون على إزالة التحرج من ارتكاب الفاحشة، ذلك بالإيحاء بأن الفاحشة شائعة فيها، وبذلك تشيع الفاحشة في النفوس، لتشيع بعد ذلك في الواقع من أجل ذلك وصف القرآن من يتهم الأفراد ويقذف

المحصنات بأنهم يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وتوعدهم بالعذاب الأليم في الدنيا وفي الآخرة (قطب، 1994).

من هنا يحذر القرآن الكريم من إشاعة الفاحشة قولاً أو فعلاً، فيجعل المنهج التربوي الإسلامي سلامة القلب للمؤمنين واجبة كوجوب كف الجوارح والقول عما يضرهم، فمنع كافة النشاطات والممارسات المنافية للدين والأخلاق والآداب العامة، والمبادئ التربوية التي تضر بالمصالح الفردية والجماعية. واستكمالاً للمنهج التربوي الوقائي، وبعد استخدام أسلوب التنفير بالزجر والوعيد، جاء أسلوب التشويق لما عند الله، قال الله تعالى" ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم" ولهذا أثر تربوي ينعكس على الأفراد إذ يجعلهم يلتزمون الآداب التربوية، فالخطأ جسيم، والحدث عظيم، ولكن الله بفضله ورحمته وقاهم السوء على الاّ يعودوا لمثله.

ثامناً: تبصير الفرد بحقيقة المنكر: قال تعالى" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {النور:21}.

يأتي المنهج التربوي الإسلامي هنا بأسلوب تنفيري إذ ينفر الفرد من المنكر، وذلك بجعله من طرق ومسالك الشيطان، حيث ينفر طبع المؤمن من هذه الصورة، صورة أن يخطو الشيطان فيتبع المؤمن خطاه، وهذا الأسلوب التربوي أسلوب مواجهة المؤمن وتبصرته بحقيقة المنكر يثير في النفس اليقظة والحذر والحساسية. وحديث الإفك نموذج من هذا المنكر، وهو نموذج منفر شنيع (قطب، 1994).

تاسعاً: فتح باب التوبة والرحمة: تمثل التوبة الرجوع إلى الله بصدق وثبات على الإيمان، وهي كما عرفها ابن القيم والغزالي عبارة عن ندم يورث عزماً وقصداً، وشرائطها الندم، والإقلاع والاعتذار (ابن القيم، 1999؛ الغزالي، 1993).

وحتى تؤدي التوبة وظيفتها في تطهير القلب والجوارح من أدران الذنوب لابد لها من ثلاثة أمور:

- أن يعلم الفرد ما في الذنوب من الإضرار بالنفس بالابتعاد عن ساحة الرحمة ومنزلة الرضوان وهو إبعاد لا يقدم عليه إلا عدو نفسه.
- أن يندم الفرد على ما فرط بحيث يترتب على هذا الندم أثره الصحيح فيقلع عن هذا الفعل بعد أن استيقن بأنه قد جلب على نفسه الضرر المهلك. والندم يعني الإقلاع فوراً عن الذنب، والعزم على ألاّ يعود إلى الذنب في المستقبل.
- أن يبادر الفرد الى التخلص مما فرط منه في الماضي كأن ترد الحقوق لأصحابها.

وللتوبة أثرها التربوي الواضح، فباب التوبة دائماً مفتوح لمن أراد، فبعد التهذيب والتأنيب، يفتح القرآن باب التوبة للمذنبين، بأسلوب تربوي رفيع يؤدب المذنب ثم يأخذ بيده ليلحقه بركب الصالحين في قافلة رحمته تعالى ومغفرته.

وتشكل التوبة عنصر اصلاح تربوي في الأسر المسلمة، ولها أثر بالغ في سلوك الفرد، فهو يتحول من الذنب الى الطاعة، فإن من يخطئ إذا علم أنه لا توبة له، وأن طريق العودة الى ربه مقفل زاد ذلك في فساده وانحرافه، وأصيب باليأس ونظر الى الحياة نظرة سوداوية قاتمةً، وإن علم أن باب التوبة مفتوح صلح أمره والتزم بالأداب التربوية والتزم طريق الحق والصواب.

وتتفق هذه النتائج بشكل عام مع ما توصلت له دراسة كل من: دراسة محمد (2021) والتي هدفت إلى بيان أهمية السيرة النبوية، ودورها الفعال في بناء وصقل شخصية الأفراد والجماعات، وإبراز أثر السيرة النبوية في الدعوة والتربية، في بناء شخصيات الصحابة، وكان من أبرز نتائجها: أن السيرة النبوية مصدر متجدد النفع للأمة الإسلامية، في إرشاد الفكر، وتوجيه السلوك، وبناء المجتمع الإنسان عل ركائز ثابتة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أرفق الناس بالمتعلمين، وأبعدهم عن التشديد والتعسير، وهذا ما نحتاج إليه في تعليمنا للناس جميعا. ودراسة اليزيدي (2019) التي بينت أنه لا انفصال في التربية النبوية بين الأخلاق والدين، فالأخلاق روح الدين الذي يغذيها وينميها، وأن أساليب معالجة الأخطاء تنوعت إلى عدة أساليب منها، التوجيه المباشر، الحوار، البيان العملي، التوبيخ، الترهيب، تقديم البديل الصحيح، الملاطفة. ودراسة السبيعي وزميله (2018) التي أظهرت أن وجود الأسرة المترابطة القائمة على أساس الإسلام تضمن وجود جيل قوي معتز بدينه مستعد لتحمل المسؤولية قادر على دحض الشبهات التي تثار حول الإسلام والأسرة خاصة. ودراسة السبيعي (2016) التي توصلت إلى مجموعة من النتائج من أهم الأساليب النبوية في التربية والتعامل مع الآخرين والتي منها ترسيخ القيم الإنسانية والمبادئ المثالية، وتذويب الفوارق الإقليمية والقبلية هي أسس التربية الصحيحة. ودراسة العمري (1431هـ) التي بينت استغلال التربية النبوية الأحداث الواقعة في المجتمع، وكان من ثمارها إخراج خير أمة أخرجت للناس، وأن التربية النبوية وضحت قدرة الأخلاق الإسلامية على توجيه جميع مؤسسات الموجودة في المجتمع وتحقيق النجاح والانضباط والاستقرار المنشود لها. ودراسة عقدة (2009) التي أظهرت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مراعياً لنفسَي صاحبيه، حريصاً على أن يدفع عنهما ما قد يصيبهما من تغيُّر أو ضيق أو حزن لا موجب أو لا سبب له في الحقيقة لتبقى النفوس صافية منشرحة، لترفُّق بالعوام ومراعاة ذلك في أمرهم ونهيهم، فإنهم في كثير من الأحيان تخالط أخطاءهم طيبة في قلوبهم. وأنه كان متواضعا لين الجانب في تعامله مع أصحابه رضوان الله عليهم ومع غيرهم.

المبحث الثاني

وفي هذا المبحث عرض لجوانب من سيرته عليه السلام مع أزواجه، واستنباط أساليب حل المشكلات الزوجية التي قد تواجه التربية الأسرية.

إن المتتبع لحياة الرسول عليه الصلاة والسلام يجد أنه عليه الصلاة والسلام قاد أسرته بشكل مميز، فقد كان يعتني بأزواجه ويهتم بهن ويوفر لهن كافة احتياجاتهن بعدل وإنصاف، وكان يلاطفهن ويدخل السرور عليهن ويعفو عنهن إن بدر منهن خطأ، وكان عليه السلام يعامل كل واحدة من زوجاته بحسب طبيعتها ونمط شخصيتها، ومتطلباتها، فها هو يدرك صغر سن عائشة فيسابقها، فيسبقها مرة، وتسبقه أخرى، فقد قالت رضي الله عنها خرجت مع النبي عليه السلام في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم، ولم أبدن فقال للناس تقدموا فتقدموا ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك، فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس: تقدموا، فتقدموا، ثم قال : تعالي حتى أسابقك، فسابقته فسبقني فجعل يضحك وهو يقول: هذه بتلك.

فالرسول الكريم عليه السلام عائد من غزوة، وفيه من التعب والإجهاد ما فيه، علاوة على قيادته للجيش، ومع ذلك يحرص على مداعبة عائشة، وإدخال السرور عليها، وكأني بعائشة رضي الله عنها وهي تروي هذا الحديث، والسرور يعلو وجهها الكريم، فأين نحن من هديه عليه السلام، فكم منا من يمازح زوجته

ويسعى لإدخال السرور والبهجة عليها، ويحاول أن يأنس بها وتأنس به؟! وكم منا من يهتم بألفاظ زوجته وعباراتها ويقدر وضعها النفسي، أو مدى رضاها عنه، اقتداءً برسولنا الكريم، ألم يقل عليه السلام لعائشة إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليَّ غضبى، فترد عليه عائشة رضي الله عنها بتعجب واندهاش، من أين تعرف ذلك، فيجيبها عليه السلام: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت عضبي قلت: لا ورب إبراهيم، قالت: أجل يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك.

وهنا يظهر تتبع الرسول عليه السلام لأحوال زوجاته، في كل شيء صغر أم كبر، حتى في الألفاظ؛ ليزيل كل ما يمكن أن يعكر الحياة الأسرية، ولتبنى الأسرة على المودة والمحبة، وكان عليه السلام حريصاً على إسعاد زوجاته وكان يلاطفهن ويدلعهن، فمرة ينادي عائشة رضي الله عنها بـ "يا عائش" وأخرى بـ "يا حميراء". فحري بنا تتبع منهج الرسول عليه السلام في تعامله مع أزواجه لتبقى البيوت آمنة مطمئنة، ولا يكون ذلك إلا بجعل سيرة الرسول عليه السلام نبراساً يستضاء بها ونوراً يهتدى بها. فبهذا المنهج واتباعه نحمي سفينة الأسرة من الغرق، ومن التفكك وضياع الأبناء، فليس أضر على الأسرة من التفكك المادي المتمثل بالطلاق، ومن التفكك المعنوي والمتمثل بالخلافات الأسرية، وسوء الخلق من الزوج أو الزوجة.

والمرجع في حفظ الأسرة الرجل من خلال ما أعطي له من قوامة، ومن تغليب العقل على العاطفة؛ لهذا خاطب الرسول عليه السلام بأحاديث أمره بمعاملتها بحسن ولطف، مبيناً عليه السلام حاجتها إلى معاملة خاصة. فقد قال عليه السلام: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمرا فليتكلم بخير أو ليسكت واستوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه إن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج استوصوا بالنساء خيرا[3].

وفي هذا إشارة لطيفة إلى ضرورة التقويم والاعتدال باتخاذ منهج الوسطية في التربية، التي لا شدة فيها لدرجة الكسر، ولا تترك لدرجة الاعوجاج والانحراف، ولا يكون ذلك إلا بالرفق واللين، واستمالة القلب، وهي ثمرة من ثمار المعاشرة بالمعروف. وعليه فالهدي النبوي في الحياة الأسرية هو الحل الوحيد لكافة المشاكل الأسرية في العصر الحاضر، فبتطبيق هديه عليه السلام تمتلئ الأسر حباً، وحناناً، وتسود السكينة والطمأنينة، وبالتالي تختفي الخصومات والمشاكل، وينشأ الأطفال بأسر متحابة، ومتآلفة.

وتلتقي هذه النتائج مع ما أظهرته اليزيدي (2019) التي بينت أنه لا انفصال في التربية النبوية بين الأخلاق والدين، فالأخلاق روح الدين الذي يغذيها وينميها، وأن أساليب معالجة الأخطاء تنوعت إلى عدة أساليب منها، التوجيه المباشر، الحوار، البيان العملي، التوبيخ، الترهيب، تقديم البديل الصحيح، الملاطفة. ودراسة السبيعي وزميله (2018) التي أظهرت أن وجود الأسرة المترابطة القائمة على أساس الإسلام تضمن وجود جيل قوي معتز بدينه مستعد لتحمل المسؤولية قادر على دحض الشبهات التي تثار حول الإسلام والأسرة خاصة. ودراسة العمري (1431هـ) التي بينت استغلال التربية النبوية الأحداث الواقعة في المجتمع، وكان من ثمارها إخراج خير أمة أخرجت للناس، وأن التربية النبوية وضحت قدرة الأخلاق الإسلامية على توجيه جميع مؤسسات الموجودة في المجتمع وتحقيق النجاح والانضباط والاستقرار المنشود لها. ودراسة عبد الله (1996) التي هدف من خلالها إلى توضيح دور الأسرة التربوي من حيث العلاقات التربوية بين أفراد الأسرة، توصل

[3] (اسناده صحيح، انظر الألباني في آداب الزفاف في السنة المطهرة. رواه البخاري، كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن، حديث رقم 4931. رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم 3557.)

الباحث إلى تسعة عشر أساساً تربوياً تكون الإطار التربوي لتربية الأسرة استقصاها من القرآن والسنة وتوصل إلى أن للأسرة أيضاً دوراً تربوياً هاماً من حيث كونها نواة المجتمع حيث تفرز للمجتمع الأجيال الصالحة.

المبحث الثالث

وفي هذا المبحث عرض لجوانب من سيرته عليه السلام مع الأطفال، واستنباط أساليب تربية الأطفال.

تظهر سيرة الرسول عليه السلام اهتماماً فريداً بالأطفال، يرتكز على العطف واللين والرحمة والشفقة، إذ ترافق أحاديث الرسول عليه السلام الطفل منذ ولادته حتى بلوغه مبلغ الرجال، مما حدا بالمربين المسلمين الاهتمام بأسس تربية الأطفال، فهذا الإمام الغزالي يرى أن المربي ينبغي أن يكون سمحاً مشفقاً على الطفل معتنياً بمصلحته، يعذر إن بدت منه رائحة سوء الأدب، ويحب له ما يحب لنفسه (الغزالي، 1985).

وفي هذا المجال يقول ابن خلدون " إن ارهاق الجسد في التعليم، مضر بالمتعلم، سيما في أصاغر الولد؛ لأنه من سوء الملكة، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحمله على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقاً وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزلة، وصار عيالاً على غيره في ذلك، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل، فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها، فارتكس وعاد في أسفل السافلين وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة القهر، ونال منها العسف"(ابن خلدون،2009، ص 597).[4]

ولقد كان تعامل الرسول مع الأطفال مثار إعجاب الصحابة رضوان الله عليهم، وهذا ما يظهر من رواية أنس الذي قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له أبو عمير – قال أحسبه فطيماً– وكان إذا جاء قال: يا أبا عمير ما فعل النغير؟ نُغَرٌ كان يلعب به، فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا، فيأمر بالبساط الذي تحته فيُكنسُ وينضح، ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا.

وهنا يظهر اهتمام الرسول عليه السلام بالطفل، واهتمامه بما كان يلعب به، وهذه لفتة تربوية من الرسول عليه السلام غاية في الأهمية، إذ على المربين الاهتمام بما يهتم به الطفل، وإدخال السرور والفرح على نفس الطفل؛ لأنه مدعاة لإقامة علاقة ود واحترام وتقدير من الطفل لمربيه – أبا كان أم معلما– وهذا شرط لتعديل السلوك، فالإنسان مجبول على إطاعة من يحب ويخترم ويقدر، والمتربي في حالة احترم معلمه وقدره جعل طلباته أوامر واجبة الإجابة وإن كانت على التخيير.

وفي تكنية الرسول عليه السلام للطفل إشارة تربوية على المربين تداركها، فمن الناحية التربوية على المربين عند مخاطبتهم للطفل النزول إلى مستواه من الناحية الجسدية، بحيث تكون عينا المربي مقابل عينا الطفل لأن ذلك أجدر لأن يستجيب الطفل لأوامر وطلبات المربي؛ لأنه بهذه الحالة تزول الحواجز المادية والمتمثلة بالمسافة بين المربي والطفل عند التحاور. أما من جهة أسلوب المخاطبة ومستوى اللغة فيجب أن يكون مرتفعاً بحيث يتدرب الطفل على الكلام الصواب، والمعاني الراقية، فلا ينبغي للمربي أن يهبط بمستوى

[4] رواه البخاري، كتاب العيدين، حمل السلاح في العيد. رواه مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث رقم 1468.

لغته لمستوى لغة الطفل عند مخاطبته لأن في ذلك ضرر تربوي يشعر الطفل معه بأنه غير مقدر، لذلك نجد الرسول عليه السلام ينادي الطفل بكنية الكبار ليشعره أنه موضوع تقدير واحترام.

ومن جهة أخرى على المربي نقل الخبرة بطريقة عملية، وأن يكون قدوة لمن يربيهم، فالرسول عيه السلام يعلمنا بهذا الحديث أن نكون قدوة لمن نربيهم، وأن نربط أفراد أسرتنا بالعبادة، وأن نجعل جزءاً من العبادة في المنزل أو مكان التعليم، وهذا يستنتج من قول أنس رضي الله عنه " فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا، فيأمر بالبساط الذي تحته فيُكنسُ وينضح، ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا".

وتطبيقاً لهذا طلب عليه السلام الإذن من غلام، فقد روى سهل بن سعد – رضي الله عنه: أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقدح، فشرب منه وعن يمينه غلام أصغر القوم، والأشياخ عن يساره، فقال: يا غلام أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ؟ قال: ما كنت لأوثر بفضلي منك أحداً يا رسول الله، فأعطاه إياه[5].

لقد أقر الإسلام لكل ذي حق حقه، وليس أدل من هذا الحديث على حقوق الطفل، فالبرغم من وجود الأشياخ إلا أن الطفل صاحب حق بالشرب بعد الرسول عليه السلام كونه يجلس على يمين الرسول عليه السلام، لهذا طلب الرسول عليه السلام منه الإذن أن يسقي الأشياخ قبله، وكأن الرسول عليه السلام يطلب منه التنازل عن حقه لصالح من هو أكبر منه، لكن الطفل لا يزل عن حقه مبرراً ذلك بقوله" ما كنت لأوثر بفضلي منك أحداً يا رسول الله" فيحترم رسول الله ذلك، ولا يمغطه حقه، ومن جانب آخر فإن في فعل الرسول احترام للرأي الأخر؛ فالبرغم من رغبة الرسول عليه السلام إعطاء الأشياخ، ولكن احتراماً لرأي الغلام نزل الرسول الكريم عليه السلام عن رأيه. ومن ثم يأتي الغرب ليقرر حقوقاً للأطفال من خلال الأمم المتحدة، فوالله ما كان ذلك ليحصل لولا أن قصر المسلمون بإظهار صورة الإسلام الحقة للعالم!

والرسول عليه السلام عندما استشار الغلام، يشعر الغلام بقيمته، ويزرع الثقة في نفسه؛ حتى يعيش شجاعاً صريحاً جريئاً في آرائه، في حدود الأدب واللياقة، بعيداً عن الإسفاف والصفاقة؛ فهذا مما يشعره بالطمأنينة، ويكسبه القوة والاعتبار، بدلاً من التردد والخوف، والهوان، والذلة والصغار.

وتتفق هذه النتائج بشكل عام مع ما توصلت له دراسة كل من: دراسة محمد (2021) والتي هدفت إلى بيان أهمية السيرة النبوية، ودورها الفعال في بناء وصقل شخصية الأفراد والجماعات، وإبراز أثر السيرة النبوية في الدعوة والتربية، في بناء شخصيات الصحابة، وكان من أبرز نتائجها: أن السيرة النبوية مصدر متجدد النفع للأمة الإسلامية، في إرشاد الفكر، وتوجيه السلوك، وبناء المجتمع الإنسان عل ركائز ثابتة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أرفق الناس بالمتعلمين، وأبعدهم عن التشديد والتعسير، وهذا ما نحتاج إليه في تعليمنا للناس جميعا. ودراسة اليزيدي (2019) التي بينت أنه لا انفصال في التربية النبوية بين الأخلاق والدين، فالأخلاق روح الدين الذي يغذيها وينميها، وأن أساليب معالجة الأخطاء تنوعت إلى عدة أساليب منها، التوجيه المباشر، الحوار، البيان العملي، التوبيخ، الترهيب، تقديم البديل الصحيح، الملاطفة. ودراسة السبيعي وزميله (2018) التي أظهرت أن وجود الأسرة المترابطة القائمة على أساس الإسلام تضمن وجود جيل قوي معتز بدينه مستعد لتحمل المسؤولية قادر على دحض الشبهات التي تثار حول الإسلام والأسرة خاصة. ودراسة عبد الله (1996) التي

[5] رواه البخاري، كتاب الآداب، باب الكنية للصبي، حدبث رقم 5850. رواه البخاري، كتاب االشرب والمساقة، باب في الشرب، حدبث رقم 2224.

هدف من خلالها إلى توضيح دور الأسرة التربوي من حيث العلاقات التربوية بين أفراد الأسرة، توصل الباحث إلى تسعة عشر أساساً تربوياً تكون الإطار التربوي لتربية الأسرة استقصاها من القرآن والسنة وتوصل إلى أن للأسرة أيضاً دوراً تربوياً هاماً من حيث كونها نواة المجتمع حيث تفرز للمجتمع الأجيال الصالحة، ودراسة فضل الله (2019) الذي تناول التربية الشخصية للمسلم من خلال السنة النبوية (مرحلة الطفولة أنموذجاً) لاسيما أن مرحلة الطفولة تعتبر من أهم المراحل في بناء الإنسان بصورة متكاملة، وتكوين شخصيته، وتحديد اتجاهه في المستقبل. وتوصلت الدراسة إلى ن منهج السنة النبوية في التربية تميز عن غيره من المناهج التربوية الأخرى لشموله لمختلف أبعاد حياة الإنسان الدينية والدنيوية وعنايته الكاملة بجميع نواحي النفس البشرية. وأن كل تربية سابقة تعنى بجانب واحد من جوانب الشخصية الإنسانية على حساب الجانب الأخر، أو تهتم بإحدى الطاقات قابل إهمال غيرها. ودراسة عناسوة (1996) التي اعتنت بدراسة دور الأسرة والمدرسة الإسلامية في تكوين شخصية الطفل المسلم، وتوصل الباحث إلى أن الأسرة الإسلامية هي الوحدة الأساسية في المجتمع الإسلامي، وأن الحياة الإنسانية السوية لا تقوم في ظل الغياب الأسري وأن الهدف من تكوين الأسرة المسلمة إقامة حدود الله وتحقيق السكون النفسي والمحافظة على الآداب الإسلامية في الأسرة. ودراسة عواقلة (1997) التي توصلت إلى واحد وأربعين أساساً تربوياً تتدرج تحتها أسس فرعية ومن ضمنها أنه لابد من تنشئة الأطفال على حب الله ورسوله وتعويدهم على العبادات وآداب الاستئذان والسلام. وأوصى الباحث بان تراعى الأسس الأساليب التي كشفت عنها الدراسة في إعداد وتصميم المناهج.

المبحث الرابع

وفي هذا المبحث بيان لأثر مبادئ التربية الأسرية التي توصلت لها الدراسة من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام على المجتمع.

مما سبق في المباحث الثلاثة السابقة يظهر أن الإسلام يولي الأسرة عناية خاصة، ليكون المجتمع سليماً من العيوب بعيداً عن اختلاط الأنساب، سليم البنية، موحد الطبيعة منسجم الأجزاء فشرع الإسلام العديد من الوسائل التي من شأن الالتزام بها أن يفضي الى ديمومة الأسرة واستقرارها كي تؤدي الثمار المرجوة منها حافظة للنسل، حامية للشرف والعرض صيانة للنسب (الزحيلي، 1972). ومن هذا المبدأ، أحاط الإسلام العلاقة بين الذكر والأنثى بسياج من الآداب التربوية التي يكفل بقاءها في إطار النقاء والطهر، وتحميها من كل إثم ودنس وذلك سداً للذرائع الموصلة إلى فساد المجتمع وإلى الوقوع في الفاحشة (الدريني، 1982).

وتعتبر الأسرة من أهم الجماعات الإنسانية، وأعظمها تأثيراً في حياة الأفراد والجماعات، فهي الوحدة البنائية الأساسية التي تنشأ عن طريقها مختلف التجمعات الاجتماعية، وهي التي تقوم بالدور الرئيس في بناء صرح المجتمع وتدعم وحدته، وتنظم سلوك أفراده بما يتلاءم مع الأدوار الاجتماعية المحددة وفقاً للنمط الحضاري العام (الرشدان، 1984).

ولأن تنظيم المجتمع الإنساني وثباته يتوقف على الأسرة؛ جاء الاهتمام المتميز من الإسلام بالأسرة وأحكامها، وأكد هذا الاهتمام النصوص القرآنية والأحاديث النبوية فقد نظمت الحياة الاجتماعية الأسرية بما فيها أحكام الزواج. وشدد في العقوبات على كل ما يمكن أن يخترق النظام الأسري، فقد حارب قتل الأولاد ووأد البنات ووضع البديل الأفضل للتبني. فحرص الإسلام أشد الحرص على مقومات نظام الأسرة، واعتبر أنه يتوقف عليها تنظيم المجتمع الإنساني واستقراره وانتظام أحواله، والنظام الاجتماعي في الاسلام جزء من الدين،

لأن الاسلام بطبيعته دين اجتماعي اهتم اهتماما بالغا بتنظيم العلاقات الاجتماعية، وشدد في العقوبات المفروضة على كل من ينال نظام الأسرة بسوء. كل ذلك لتقوية الأواصر الأسرية وللمحافظة على تماسك الأسرة وللمحافظة على تماسك العائلة (الفاعوري، 1994).

ومن الوظائف الهامة للأسرة، التربية الخلقية والنفسية والوجدانية للطفل فهي تؤمن تربية صالحة لأبنائها في جميع جوانب الحياة، لينغرس في نفوسهم قيماً واتجاهات سليمة وإيجابية تتناسب مع متطلبات مجتمعهم على أساس من الفهم والعلم، وتزودهم بثقافة تلائم العصر الذي يعيشون فيه.

وتقوم الأسرة أيضاً بالمحافظة على أعضاء المجتمع، وتعدهم للعمل والتفاعل الاجتماعي، كما تقوم بعملية التطبيع الاجتماعي أو التنشئة الاجتماعية عن طريق تنمية العواطف الاجتماعية مع تنمية روح الانتماء ومحبة الوطن إضافة الى ما تقدمه الأسرة من دور كبير في تعليم الطفل وتوجيهه نحو عقيدتها وتعليمه العبادات المطلوبة للتقرب من الخالق، كما عليها أن تعلم أطفالها كيف يميزون بين الخير والممنوع، والثواب والعقاب؛ من أجل هذا عمل المنهج التربوي الإسلامي على حماية الأسر من كل ما يمكنه أن يحرفها عن المنهج السوي الذي تسعى إليه التربية الإسلامية والهدف من ذلك المحافظة على المجتمع الإسلامي مجتمعا نقياً، فريداً متميزاً عن غيره ليكون نبراساً يهتدى به، وتنعكس صفات الأسرة على المجتمع، لأنها تكوّن الطفل وتعمل على تكامل شخصيته أولاً، ثم إنها تملك عادات وتقاليد خاصة تربط أفراد الأسر بعضهم ببعض، ثم تربطهم بالتالي بالمجتمع (الرشدان، 1984).

وتصدى الإسلام للأقاويل والتهم التي تجعل من مجتمع المسلمين بيئة للفحشاء والمنكر، والتي توفر عوامل الانحراف للأفراد والقدوة السيئة. وإن إشاعة الكلام الذي يخدش الحياء يعني إيجاد أسوة سلوكية سيئة لمن يريد أن يخرج عن المنهج التربوي الذي رسمه الإسلام، ولأن الإنسان غير معصوم عن الخطأ والانحراف جاء المنهج التربوي الإسلامي بخطوات وقواعد تربوية عملية واقعية لحماية الأسر المسلمة من سوء الأقاويل والفتن. وهذه الخطوات والقواعد التربوية تتصدى للأقاويل وتردها على أعقابها لتجعل من المجتمع الإسلامي مجتمعاً نظيفاً. فحماية المجتمع من الأقاويل والتهم التي لا سند لها تجعل المجتمع الإسلامي يعيش في أمن وطمأنينة، ويقبل على العمل والإنتاج براحة تؤدي الى الإبداع.

ولهذا منع المنهج التربوي الإسلامي شتى أنواع الإغراء ووسائله، التي من شأنها إثارة الغرائز وإشاعة الفاحشة، ليعيش الناس في مجتمع نظيف، لا أثر للضغوطات الخارجية على أعصابه، فكان موقف الإسلام حازماً وحاسماً بالنسبة لكل عوامل الإفساد في المجتمع" إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ {النور:19}، (يكن،1988).

إن الأساليب التي بينها المنهج التربوي الإسلامي في وقاية الأسر من الاتهامات لها دور فعال في حماية المجتمع وأفراده، فالتوبة هي منة من الله لحماية المجتمع، وانتفاؤها يعني زيادة الانحراف في المجتمع، لذا فإن التوبة تفتح باب الإصلاح للمجتمع " إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ {آل عمران:89}" فالإصلاح يقتضي إصلاح الفرد لنفسه وتفكيره وبيئته وظروفه، ورد المظالم الى أهلها إن أمكنه ذلك، والتوبة الصادقة تقتضي من الإنسان أن يعلم علماً يقينياً خطأه، ويندم على ذلك، ويقلع عنه، ويعزم عزماً أكيداً على عدم الرجوع إليه، ويبتعد عن الظروف التي قادته الى مثل هذا العمل، وهذا كله يحمي المجتمع ويجعل منه مجتمعاً متماسكاً، لا خطأ فيه (حجازي، 1992).

وقد ركز المنهج التربوي الإسلامي على أن يكون المسلم حسن الظن بأخيه المسلم لما له من آثارٍ تربوية تصيب المجتمع بالخير ومن هذه الآثار كما يرى عوض (1979):

- تربية الثقة بين المؤمنين في المجتمع الإسلامي، إذ يستوجب أن يثق المؤمنون بأنفسهم وبمجتمعهم، ومصدر هذه الثقة هو الاعتقاد بخيرية هذا المجتمع.
- تسليم الفرد المؤمن بأن المجتمع لا يخلو من المذنبين والعصاة، وإلا لما شرعت التوبة، ولهذا ينبغي أن يكون المجتمع عاقلاً فلا يجري خلف شائعات، أو يطلق الألسنة اعتماداً على تخيلات، بل يجب أن يتبع القواعد التربوية التي حددها المنهج التربوي الإسلامي في سورة النور وذلك أكثر ضمانةً لإعداد الأفراد تربوياً.

ويظهر من حادثة الإفك كيف ينبغي أن يكون الزوج الصالح، فالزوج الصالح رحيماً بزوجه، عليماً بطبعها، مقدراً لحاجتها، فلا يكون عنيفاً ولا قاسياً، ولا جباراً ولا متسلطاً، فالرسول عليه السلام وبالرغم مما لاكته الألسن بحق زوجه، إلا أنه عليه السلام لم يترك الحوار معها، ولم يترك التلطف بها.

لقد كان الحوار هو الصفة الملازمة لحياة الرسول مع المسلمين عامة، ومع زوجاته خاصة، وهذا ما يظهر من الأحاديث الواردة عن حياته الأسرية، والتي أوردت بعضها؛ ذلك أن الحوار يجعل الأسرة متسمة بالهدوء والاطمئنان، وتسود الثقة بين أفرادها، وهذا لا يكون إلا بالمعاشرة بالمعروف، قال الله تعالى" وعاشروهن بالمعروف" (النساء: 19)، والمعاشرة تشمل الصحبة الجميلة، وكف الأذى، وحسن التعامل، وبذل الإحسان، ومدحها أمام أهلها وأهله، وأمام الناس، وأن يحفظ أسراره الزوجية، ومن حسن العشرة أن يكون الزوج طلق الوجه، يحسن اختيار الكلمة الحلوة، ويشكرها على ما تؤديه من خدمة له ولأولاده، ويحاول أن يسري عنها إن غضبت، ويلبي احتياجاتها المعنوية والمادية، وبهذا تشعر الزوجة بالأمان والذي تحتاجه أكثر من أي شيء آخر، وهذا ينعكس حباً وتكريماً لزوجها. ويؤكد هذا سيرة الرسول عليه السلام داخل بيوته، فقد كان إذا خلا بزوجة من زوجاته تبسط معها ومازحها وداعبها، لأنه يعلم أن تطييب قلب الزوجة من حسن الخلق وحق العشرة وحسنها.

وعليه فعلى كلا الزوجين أن لا يهملا أسباب دوام المحبة والرحمة، أو يهملها أحدهما فيترتب على ذلك فتور في العواطف وفي العلاقة قد يتبعه نفور، ثم تباعد قد يصل إلى الطلاق، أو قد يضطر كل منهما أن يعايش الآخر على مضض، فيكون بينهما تلبية للغريزة فقط وهي السكن وقضاء الأرب الجنسي وإنجاب الأولاد، دون أن يكون بينهما العواطف التي هي أساس الجمال والسعادة (أيوب، 2002).

ولأن الرسول عليه السلام جاء بمنهج شامل لكافة مناحي الحياة، فإنه عليه السلام لم يهمل تربية الأطفال هذا بالرغم من انشغاله بالدعوة، والجهاد، وتيسير أمور الدولة، ومشاغله الأسرية، فقد حوت السنة النبوية مواقفاً وأحداثاً تبين للمربين كيف يمكن لهم أن يتعاملوا مع الأطفال. فنجده يوجه الأطفال المميزين ويعلمهم آداب الطعام والتيمن والاستئذان، وغيرها من الآداب العملية في وفي مناسباتها ليطبقوا ذلك عملياً، لتصبح فيما بعد عادات سلوكية فردية بدايةً واجتماعية نهايةً، فقد روى أنس رضي الله عنه قال: كنت خادماً للنبي صلى الله عليه وسلم قال: فكنت أدخل بغير استئذان، فجئت يوماً فقال: كما أنت يا بني، فإنه قد حدث بعدك أمر لا تدخلن إلا بإذن. وهكذا فقد أمره عليه السلام بتطبيق الأدب التربوي فور نزول قوله تعالى في سورة النور يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ

الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاء ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {58}، وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {59} (النور: 58-59)، وهذا هو المنهج التربوي الذي اتبعه عليه السلام، فعلى ان يأمروا الأطفال بتطبيق الآداب التربوية، علماً بأنهم غير مطالبين بتطبيق أوامر الشريعة حتى يبلغوا الحلم. وهذه لفتة تربوية غاية في الأهمية، فعلى المربين أن يأمروا الأطفال بالتزام الأداب وحسن الخلق وذلك لتوالي الدربة عليهم. بمعنى تعويدهم وتدريبهم ليسهل الأمر عليهم حتى إذا جاء عهد التكليف تكون سهلة عليهم، وهذا يشبه قوله عليه السلام " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم وهم أبناء عشر.

فلا بد من ان نبدأ بتعليم الأطفال وهم في سن مبكرة، ذلك لأن الطفل في سن مبكرة يتعلم ويستقبل بصورة أفضل، وهذا ينسجم مع ما حددته المدارس التربوية بأن سن السادسة هو أفضل عمر للتعليم إذ يكون فيه الطفل قادراً على استقبال المعلومات ومعالجتها.

وحتى يكون التعليم ذا نفع لا بد أن تقوم العلاقة بين المربي والمتربي على الاحترام والتقدير، فها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يبني تلك العلاقة مع الغلمان، فينادي الغلام بكنيته تحبباً، فمناداة الطفل بكنيته ملاطفة له، وهي تكريم، وزرع للثقة في نفسه، وكان عليه السلام من ملاطفته للصبية يناديهم بما يحبونه، وبما يشعرهم بالحب والحنان والفخر، حتى أنه عليه السلام كان يمازحهم، فمن ممازحته ومداعبته للأطفال ما رواه محمود بن الربيع حيث قال: علقت من النبي صلى الله عليه وسلم مَجَّةً مَجَّها في وجهي، وأنا ابن خمس سنين من دلو. وتتفق هذه النتائج مع نتائج الدراسات السابقة التي اعتنت بدراسة السنة النبوية والتربية، إذ أجمعت كافة الدراسات السابقة على دور التربية الأسرية ببناء المجتمع على أسس سليمة، وقواعد تضمن تميزه وتفرده، واتفقت نتائج الدراسات على أن للتربية النبوية دور رئيس بحماية المجتمع من كل شائبة تؤثر على استقراره وأمنه المادي والاجتماعي.

ملخص نتائج الدراسة

من خلال تحليل الأحاديث التي تم عرضها في الدراسة الحالية توصلت الدراسة للنتائج التالية:

- أن الأحداث السلبية يمكن أن يستغلها المربي في إحداث تغييرات جوهرية في سلوك الأفراد، وخير دليل على ذلك حادثة الإفك وكيف استغلها القرآن لتهذيب النفوس وتربيتها على العفة والطهارة.
- كشفت الدراسة عن تسعة أساليب تربوية تهذب النفوس وتحمي الأسرة من التهم.
- أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان مثال الزوج الصالح، الرحيم والعطوف على زوجاته، وأنه مثل نموذجاً لكل زوج راغب بتشكيل أسرة ملؤها العطف، والحنان، والسكينة، والطمأنينة.
- أن منهج الرسول عليه الصلاة والسلام في تربية الأطفال يرتكز على الرفق واللين، والاحترام والتقدير، لبناء الثقة والشخصية السوية.
- أن هذه المبادئ التربوية ذات أثر إيجابي واضح على المجتمع.

التوصيات

بناء على ما توصلت له الدراسة من نتائج فإن الباحث يوصي بالتالي:

- ضرورة اتباع المربين المبادىء التربوية التي توصلت لها الدراسة.
- ضرورة الرجوع إلى السيرة النبوية لاستنباط أسس التربية كون السيرة النبوية تحوي منهجاً تربوياً متكاملاً يمكن الاتكاء عليه في بناء منضومة تربوية إسلامية.

المراجع

ابن القيم. (1999). الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار الأرقم بن أبي الأرقم للنشر والتوزيع، بيروت.

ابن خلدون، عبد الرحمن. (2009). مقدمة ابن خلدون، الناشر: وزارة الثقافة الأردنية، الأردن.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). التحرير والتنوير، الدار السنوسية للنشر، تونس، الجزء الثامن عشر.

أبو داود، سليمان بن الأشعث. (1998). سنن أبي داود، دار ابن حزم، بيروت

الألباني، محمد ناصر الدين. (1409هـ). آداب الزفاف في السنة المطهرة، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن.

أيوب، حسن. (2022). السلوك الاجتماعي في الإسلام، دار السلان للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر..

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1997). *صحيح البخاري ومعه فتح الباري*، دار الفيحاء، دمشق.

الترمذي، محمد بن عيسى. (1998). *جامع الترمذي ومعه تحفة الأحوذي للمبارك فوري*، دار إحياء التراث للطباعة والتوزيع، بيروت، الجزء السابع.

التميمي، عز الدين. (1987). *دور الإسلام في معالجة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية للأسرة*، المركز الثقافي الملكي، عمان الأردن.

حجازي، محمد. (1992). *التفسير الواضح*، دار التفسير للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، المجلد الثالث.

الدريني، فتحي. (1982). *خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم*، دار الرسالة، بيروت.

الرازي، الفخر. (1997). *تفسير الرازي*، دار إحياء التراث، لبنان، المجلد الثامن، الجزء 23 + 24

الرشدان، عبد الله. (1984). *علم الأصول العامة لوحدة الدين الحق الاجتماع التربوي*، دار الجيل، عمان، الأردن.

الزحيلي، وهبة. (1972). *الأصول العامة لوحدة الدين الحق*، المكتبة العباسية، دمشق.

الزمخشري، محمود. (1997). *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، المجلد الرابع.

السبيعي، علي. (2016). ملامح التربية النبوية في العهد المدني، دراسات عربية في *التربية وعلم النفس، رابطة التربويين العرب*. 80(1)، 459–481.

السبيعي، فيصل وعلام، حلمي. (2018). الحوار وأثره في تربية الأسرة النبوية: المواقف والمفاهيم التربوية. *مجلة كلية التربية، جامعة طنطا*، 69(1)، 459 – 540

شديد، محمد. (1982). *منهج التربية في القرآن*. مؤسسة الرسالة، بيروت

شوق، محمد. (1990). *أهم أسس تربية الطفل تربية إسلامية وتطبيقاتها*. مؤتمر الطفولة في الإسلام، المجلد الأول، جامعة الأزهر.

الصابوني، عبد الرحمن. (1972). *نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الإسلام*. مصر

الصالح، محمد. (1994). التربية الأسرية في مواجهة ظاهرة المخدرات لدى طلاب المدرسة الثانوية بالدقهلية. *مجلة كلية التربية بالمنصورة، مصر*، 21(1)، 191– 230

الطبري، محمد بن جرير. (1999). *تفسير الطبري*. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الطحاوي، أحمد بن حمد. (1979). *شرح معاني الأثار*. دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء الرابع.

عبد الشافي، مصطفى. (1974). *أثر الإيمان في النفوس*. الفكر الإسلامي، (11)، 90–96.

عبد الله، قاسم. (1996). *دور الأسرة التربوي في ضوء التربية الإسلامية*. رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن.

عبود، عبد الغني. (1979). *الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة*. دار الفكر العربي.

عقدة، عبد القادر. (2009). *من معالم التربية النبوية*، البيان، (262)، 20–24.

العلاوي، محمد. (1990). *دور التربية الإسلامية في بناء شخصية الطفل بالمرحلة الابتدائية*. مؤتمر الطفولة في الإسلام، المجلد الثاني، جامعة الأزهر.

العمري، الغريب. (1431هـ)، *التربية بالأحداث في السنة النبوية وتطبيقاتها التربوية*. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية.

عناسوة، سالم. (1996). *دور الأسرة والمدرسة الإسلامية في تكوين شخصية الطفل المسلم*. رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن.

عواقلة، عبد الله. (1997). *الأسس والأساليب التربوية لإعداد الأطفال في ضوء التربية الإسلامية*. رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن.

عوض، محمد. (1979). *فقه الكلمة ومسؤوليتها في القرآن والسنة*، دار الأنصار، القاهرة.

الغزالي، أبو حامد. (1985). *أيها الولد*. دار الاعتصام، بيروت.

الغزالي، أبو حامد. (1993). *إحياء علوم الدين*. دار الخير، بيروت.

الفاعوري، خليل. (1994). *الأسرة والطفولة*. عمان، الأردن

فريد، فتحي. (1985). *من أخلاق القرآن في سورة النور*. مكتبة النهضة المصرية..

فضل الله، عبده. (2019). التربية الشخصية للمسلم من خلال السنة النبوية: مرحلة الطفولة أنموذجًا. *الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا*، 10(34)، 117–134.

القرطبي، محمد بن جرير. (1967). *الجامع لأحكام القرآن*. دار الكتاب العربي، القاهرة، الجزء الثاني عشر.

القضاة، حامد. (1997). *أثر تأنيث الهيئة التدريسية وبعض المتغيرات الأخرى على التحصيل الأكاديمي في مبحث اللغة العربية لدى تلاميذ الصفوف الثلاثة الأساسية الأولى في الأردن*. رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن.

القضاة، محمد أمين. (2003). *تطوير إطار مرجعي للدلالات التربوية لأسماء الله الحسنى*. أطروحة دكتوراة، الجامعة الأردنية، الأردن.

قطب، سيد. (1994). *في ظلال القرآن*. الطبعة الثامنة عشرة، دار الشروق، بيروت، المجلد الرابع.

كتبي، أحمد بن إسماعيل. (1426هـ). *المنهج التربوي النبوي في معالجة مواقف من أخطاء أفراد في المجتمع المدني*، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية.

محمد، إبراهيم. (2021). أثر السيرة النبوية على الدعوة والتربية: دراسة حديثية، أبحاث، جامعة الحديدة، كلية التربية بالحديدة، 24(1)، 289–373.

المراغي، أحمد. (1998). *تفسير المراغي*، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد السادس.

مسلم. (1994). *صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين النووي*. دار المعرفة بيروت.

منصور، أكرم. (2022). الدور التربوي للشباب في ضوء التربية النبوية، *مجلة الآداب للدراسات النفسية والتربوية، جامعة نمار*، 13(1)، 185–214.

النباهين، علي. (1990). *دراسة تحليلية لدور الأسرة في رعاية الطفولة من وجهة نظر التربية الإسلامية*. المؤتمر السنوي الثالث للطفل المصري، المجلد الأول، القاهرة.

نوفل، أحمد، عبد الغني، محمد وعويضة، محمد. (1990). *في الثقافة الإسلامية*. الطبعة الثانية، عمان، الأردن.

هاشم، أحمد. (1990). *الطفولة في الإسلام*. مؤتمر الطفولة في الإسلام، المجلد الأول، جامعة الأزهر.

هشام، أحمد عمر. (1989). *الأسرة في الإسلام*. دار القباء، مصر.

اليزيدي، صباح. (2019). التربية النبوية وزيد بن حارثة نموذجا. *مجلة العلوم التربوية والنفسية، المركز القومي للبحوث غزة*، 3(15)، 114– 137.

يكن، فتحي. (1988). *الإسلام والجنس*. مؤسسة الرسالة، بيروت.